3-كلام العـــرب :

يشمل الشعر والنثر مما قالت العرب المحتج بهم (راجع الشروط المكانية والزمانية) والشعر ديوان العرب، قال عمر (ض): «كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه»[1] فيه أخبارهم وأيامهم وأفراحهم وأحزانهم وأخلاقهم...وقد اعتمدوا على نقله بالرواية الشفوية، فكان لكل شاعر راوية، ولكن مع تقادم الزمن دخله شيء من النسيان والتغيير، وضاع جزء منه، قال أبو عمرو بن العلاء (154هـــ): " ما انتهى إليكم مما قالت العرب إلا أقله، ولو جاءكم وافرا لجاءكم علم وشعر كثير"[2].

ويكاد النحاة يقتصرون على الشواهد الشعرية، ويكثرون منها كثرة مبالغا فيها، حتى قيل: "كان أبو مسحل: يروي عن علي بن المبارك أربعين ألف بيتٍ شاهدٍ في لنحو"[3]، وكان الأنباري (328هـ) يحفظ ثلاثمئة ألف شاهد شعري في القرآن" [4].

وقد رُوي أنّ بعض الأشعار دُوّنت، فذكرت كتب التاريخ أنّ الملك النعمان بن المنذر كان عنده ديوان الفحول، فيها ما مدح به هو وأهله[5]، وإنّ الوليد ابن يزيد (126هـ) جمع أشعار العرب وأنسابهم مستعينا بما كان عند حماد الراوية وجناد بن واصل من كتب ودواوين [6]، وكان للوليد بن عبد الملك كاتب يكتب له المصاحف والأشعار والأخبار.

وإذا كان النحاة قد استخدموا الشعر شواهد لقواعدهم فإنهم قد اشترطوا في قبوله أن يكون:

1. منتميا إلى عصر الفصاحة (منذ الشاعر المهلهل(ت 525م) إلى الشاعر إبراهيم بن هرمة (ت 176هـــ).
2. معلوم القائل.
3. مطردا (وهذا شرط البصريين).

إنّ الحدود الزمانية (مدة ثلاثة قرون) لم يحترمها كل النحاة، بل وقع شيء من التجاوز من بعض النحاة، فقد استشهدوا بشعر الزِّباء وجذيمة الأبرش وأعصر بن سعد[7] وهؤلاء عاشوا في القرن الرابع قبل الإسلام. وشعرهم مشكوك في صحته، وفي نسبته، وحتى لو كانوا قد قالوا شعرا فإنه يخالف ما عرف في بيئة الحجاز قبيل الإسلام...

---

[1] ابن سلام ، طبقات فحول الشعراء ، ص44. والصاحبي، ص67.

[2] نفسه، ص24.

[3] السيوطي ، كتاب بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، ص282، 318.

[4] الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، ص153.

[5] طبقات فحول الشعراء ، ص23.

[6] ابن النديم ، الفهرست ، ص134.

[7] ينظر الكتاب 51/3 والمقتضب 13/2.

وكذلك استشهدوا بشعر عمارة بن عقيل (229هـ) وأبي عبد الله الشجري، وقد عاشا بعد القرن الثاني الهجري؛ كما أنهم لم يتّفقوا في زمان الشعر المحدث، فقال أبو عمرو بن العلاء (154هـ): الأخطل(90هـ) والفرزدق(110هـ) وجرير(110هـ) محدثون. وقال تلميذه الأصمعي (216هـ): الطرمّاح (102هـ) والكميت(120هـ) من المولدين. وسيبويه قد احتجّ بشعر هؤلاء جميعا، وختم شواهده بشعر إبراهيم بن هرمة (176هـ) وتوفي هو في (180هـ). واكتفى النحاة المتأخرون بشواهد سيبويه، فهل يُفسر هذا بتقليد إمامهم؟ أم هل يفسر بانتهاء عصر الفصاحة، وبداية عصر المولدين؟ وقد قيل: بشار بن برد أول المولدين.

لم يقبل النحاة كل شعر أولئك الذين عاشوا في عصر الفصاحة، وفي بيئتها. بل أخضعوا ما يروى إليهم إلى القياس، وكانوا يخطئون بعض الشعراء، وهذا عبد الله بن أبي اسحق الحضرمي (117هـ) يلحن الفرزدق (وهو تميمي يحتج به) في قوله:[8]

مُستقبلين شمالَ الشامِ تَضرِبنَا ❁ بِحاصبٍ مِن نَديف القُطنِ منثُـورِ

على عَمائِمنا تلقىَ ، وأَرحِلنـــا ❁ عَلى زواحفَ تُزْجىَ، مُخُّها رِيـرُ

ويقول له: ألا قلت على زواحف نُزجيها محاسير. فيهجوه الفرزدق ببيت شعريّ بَقي شاهدًا على ألسنة النحاة:

فَلَو كَان عبدُ الله مولًى هَجَوْتُه ❁ وَلكن عبد الله مولَى مَوَاليا

وكذلك كان يفعل تلاميذه، فقد خطّأ عيسى بن عمر (149هـ) النابغة في قوله:

فَبِتُّ كَأَنِّي سَاوَرَتْنِي ضَئيلَةٌ ❁ مِنَ الرَّقشِ، فِي أَنْيَابِها السمُّ ناقِعُ

وذهب إلى أنّ الصواب أن يقول (ناقعاً)[9]. كما خطأ يونُس بن حبيب(182هـ) العجاجَ وولدَه رُؤبَة بسبب خروجهما عن القياس فيما يذهبان من اشتقاقات يشتقانها في شعرهما على غير لغة العرب . حتى ضاق به رُؤبة بن العجاج وقال له : " علينا أن نقول، وعليكم أن تعربوا". وقد أنكر الأصمعي (216هـ) قول ذي الرمّة :

إذا خَشيت مِنْه الصَّريمة أَبرقت ❁ لَه برقة مِنْ خلبٍ غَيْر مَاطِرِ

والصواب أن يقول (برقت) وليس (أبرقت) فالعرب تقول: بَرَقت السماء ورَعَدت،كما خطأ الكميت الأسدي في ذات اللّفظ. قال:

أبرِقْ وَأرعِدْ ياَ يَزِيدُ ❁ فَمَا وَعِيدُكَ لِي بِضَائرِ

قال : الكميت جرمقاني[10] من أهل الموصل ، لا آخذ بلغته.

---

[8] ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ص35 والسيرافي، مراتب النحويين ص 15.

[9] الزبيدي ، طبقات النحويين واللغويين ، ص26.

[10] ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (برق) والمزهر 375/2.

الجرامقة: قوم من العجم سكنوا الموصل . **والأحامرة** منهم سكنوا الكوفة . **والخضارمة** منهم سكنوا الشام . **والجراجمة** منهم سكنوا الجزيرة . لسان العرب 1186/2.

قال ابن فارس (395هـ): «ما جعل الله الشعراء معصومين يوقون الغلط والخطأ، فما صح في شعرهم فمقبول، وما أبته العربية وأصولها فهو مردود»[11].

بلغت الشواهد الشعرية في كتاب سيبويه (1050) خمسين وألف بيت من شعر العرب من الجاهلية إلى عصر سيبويه، وأكثرها من شعراء **تميم**: مثل علقمة الفحل، وأوس بن حجر ومسكين الدارمي، والأسود بن يعفر والفرزدق وجرير ورؤبة والعجاج، ومن **هذيل** أبو ذؤيب وأبو خراش وأبو كبير وساعدة بن جؤية، وأمية بن أبي عائذ ومن **طي** زيد الخير وأبو زُبيد وحاتم، وعامر بن جوين، ومن **أسد** عبد الله بن الأشيم وبشر بن أبي خازم والأقيشر وعبيد بن الأبرص وفرار وعقيبة، ومن **كنانة** أبو الأسود الدؤلي، وعامر بن واثلة وأنس بن زنيم ومن **قيس** ذو الأصبع العدواني، وطفيل الغنوي والنابغة الجعدي.

ومن شعراء الحضر، من **مكة** عمر بن أبي ربيعة وابن قيس الرقيات وعبد الله بن الزبعرى، ومن **المدينة** أحيحة بن الجلاح وحسان بن ثابت وقيس بن الخطيم، وعمرو بن الإطنابة وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة، ومن **ثقيف** أبو الصلت وأبو محجن وغيلان بن سلمة وعبد الله بن نمير، والحارث بن كلدة ومن **البحرين** المثقب العبدي والممزق العبدي، والمفضل اليشكري، والمتلمس ومن **الحيرة** عبيد بن الأبرص وعدي بن زيد، ومن **الكوفة** الكميت والطرماح، ومن **البصرة** عمران بن حِطّان وإبّان اللاحقي. ومن **اليمن** عبد يغوث، وعمرو بن معد يكرب، والأفوه الأودي، والأسمر الجعفي، وابن مالك الحميري.

ومن غير القبائل الست(معيار الفصاحة)، من **حنيفة** عبد الله بن ثعلبة، ومن عبد قيس زياد الأعجم ومن **بكر** جسّاس وسعد بن مالك وطرفة ومن **تغلب** عمرو بن كلثوم وعمرو بن قميئة والأخطل والقطامي والأخنس بن شهاب وأفنون التغلبي، ومن **قضاعة** جذيمة الأبرش، وهدبة بن الخشرم وعبد الله بن العجلان وعلة الجرمي (جرم من قُضاعة) ومن **خزاعة** كثير عزة ودعبل الخزاعي، ومن **غسان** عدي بن الرعلاء وعبد المسيح ومن **إياد** الحارث بن دوس ولقيط بن يعمر وأبو دؤاد ومن **ربيعة** المسيّب بن علس.

لقد استشهد الأستراباذي وابن مالك [12] بشعر بشار بن برد (167هـ) وهو أول المولدين، واحتج سيبويه والمبرد وابن جني [13] بشعر خلف الأحمر (180هـ). وقد وصل الاستشهاد إلى شعراء القرن الثالث أمثال أبي محمد اليزيدي (202هـ) والإمام الشافعي (204هـ) والعتابي (208هـ) وعبد الله بن أيوب التميمي (209هـ) وبشر بن المعتمر (210هـ) والرياشي (210هـ) وأبي العتاهية (211هـ) وأبي المنهال (220هـ) والفقيمي(228هـ) وعمارة بن عقيل (229هـ) وأبي تمام (231هـ) وأبي العميثل(240هـ) ودعبل الخزاعي (246هـ) والبحتري (284هـ) وابن المعتز(296هـ).

بل لقد امتد الاستشهاد إلى ما بعد هذا القرن الثالث الهجري، فقد استشهد بعض النحاة بشعر المتنبّي (354هـ) وأبي فراس الحمداني (357هـ)وابن نباته (405هـ) والشريف الرضي(406هـ)والمعري(449هـ).

---

[11] الصاحبي في فقه اللغة ، ص 276

[12] شرح الكافية 211/1 وشرح ابن مالك للكافية 842/2.

[13] الكتاب 272/2 والخصائص 31/1 ، 134 و 281/2.

والنحاة الذين استشهدوا بشعر هؤلاء المذكورين هم: المبرد (285هـ) وثعلب (291هـ) وابن الأنباري (337هـ) والزجاجي(337هـ) وابن جني (392هـ) والزمخشري (538هـ) وابن يعيش (643هـ) وابن الحاجب (656هـ) وابن عصفور (669هـ) وابن مالك (672هـ) والإستراباذي (686هـ) وابن هشام (761هـ) وابن عقيل (769هـ) والأشموني (900هـ) والسيوطي (911هـ).

والحقيقة أن لغة الشعر لا تصلح دائما لتقعيد القواعد لأنها محل الضرورات. والضرورات عند النحاة تختلف عن اللحن أو الخطأ، ذلك أن مستعملها يحاول وجها من وجوه القياس، أو يراجع أصلا متروكا من أصول اللغة. قال سيبويه في بيت الفرزدق:

فلو كَان عبدُ الله مولَى هجوتُه ❁ ولَكنَ عبدَ الله مولَى مواليا

" فلما اضطروا إلى ذلك في موضع لا بد لهم فيه من الحركة أخرجوه على الأصل"[14]. وعلى هذا المذهب قولُ المبرد:" و اعلم أن الشاعر إذا اضطر صرف مالا ينصرف، جاز له ذلك؛ لأنه إنما يردّ الأسماء إلى أصولها، وإذا اضطر إلى ترك صرف ما ينصرف لم يجز له ذلك، لأن الضرورة لا تجوز اللحن، وإنما يجوز فيها أن ترد الشيء إلى ما كان له قبل دخوله العلة نحو قوله: راد، إذا اضطرت إليه قلت: رادد "[15].

ولا يعني النحاة بالضرورة أنه لا سبيل إلى الشاعر إلا أن يأتي بهذا الضرب من القول، وأنه لا مندوحة عنه، وإنما يريدون بها أن الشاعر يحاول مسلكا من القول، وأسلوبا من التعبير يتعلق بالشعر دون النثر، وفي هذا الشأن يقول أبو حيان: لا يعني النحويون بالضرورة أنه لا مندوحة عن النطق بهذا اللفظ، وإلا كان لا توجد ضرورة لأنه ما من لفظ أو ضرورة إلا ويمكن إزالتها، ونظم تركيب آخر غير ذلك التركيب، وإنما يعنون بالضرورة أن ذلك من تراكيبهم الواقعة في الشعر المختصة به ولا يقع ذلك في كلامهم في النثر، وإنما يستعملون ذلك في الشعر خاصة.[16] ونختم بقول سيبويه "وليس شيء يضطرون إليه إلا و هم يحاولون به وجهاً "[17].

أ- الشعر المجهول قائله:

ذهب بعض النحاة إلى عدم الاحتجاج بالشعر المجهول القائل، وذلك لتنافي شرط العدالة، وإن كانت هي شرطا لازما في الراوي، وليس في القائل، فقد استشهد العلماء بشعر الكفار والفاسقين وأضرابهم. والحقيقة أن هذا الشرط بقي نظريا، لأنه موجود في كتب النحاة أمثال سيبويه والمبرد وابن السراج و الزجاج وابن الأنباري والزمخشري وابن هشام ...

---

[14] الكتاب 312/3.

[15] المقتضب 354/3.

[16] همع الهوامع 155/2، 156.

[17] الكتاب 13/1.

وقد نص العلماء على جهلهم لخمسين بيتا من شواهد سيبويه، ولا أحد من النحاة خطأ ما تأسس عليها من قواعد. بل أجمع العلماء على أن كتاب سيبويه حجة للنحاة وللعربية، وكان يقول: قال الشاعر، قال الراجز ..... من دون أن يعين القائل.

ولكن قد يكون الشعر مجهولا قائله عند فرد أو جماعة أو في بيئة أو في عصر دون آخر، بل الجهل بالقائل أمر نسبيّ، فقد استشهد الفراء (207هـ) على كسر ياء المتكلم بيت مجهول قائله:

قالَ لهَا: هَل لَكِ يَا تَافِيِّ ❁ قَالت لَه: ما أنتَ بِالمرضِّي[18]

وتحقق العلماء من نسبته فيما بعد إلى الأغلب العجلي[19].

ومما يذكر أن أول من رفض الشعر المجهول القائل المازني والمبرد والزجاج.. ولم يكتف بعض النحاة بهذا الشرط، بل طرح المبرد أصلا جديدا. وهو أن تقبل الرواية التي توافق القياس، وإذا خالفته لا تقبل. فأنكر شواهد سيبويه، وأجهد نفسه في إثبات غيرها.

ومن أمثلته : تسقط الفاء الرابطة لجواب الشرط كقول حسّان بن ثابت أو ابنه عبد الرحمان:

مَن يَفعِل الحسناتِ الله يشكُرها ❁ والشرُّ بالشرِّ عندَ الله مَثلانِ

فتمسك المبرد بما رواه الأصمعي:

مَن يفعلِ الخيرَ فالرحمنُ يشكُره.....

قال سيبويه : وقد يسكّن بعضهم في الشعر ويشمُّ، ذلك كقول امرئ القيس:

فاليومَ أشربْ غير مُستحقبٍ ❁ إثمًا من الله وَ لاَ واغلِ[20]

وذهب المبرد إلى أن الرواية الصحيحة هكذا:

فاليومَ أُسقَى غيرَ مستحقبٍ ❁ إثما من الله و لا واغل[21].

وهذا أعلى درجات التشدد في القياس، إذ وصل الأمر إلى تخطئة سيبويه، قال ابن جني: " وأما اعتراض أبي العباس(المبرد) هنا على الكتاب، فإنما هو على العرب، لا على صاحب الكتاب، ولأنه حكاه كما سمعه، ولا يمكن في الوزن أيضا غيره، وقول أبي العباس إنما الرواية: فاليوم أسقىَ؛ كأنه قال لسيبويه كذبت على العرب، ولم تسمع ما حكيته عنهم، وإذا بلغ الأمر هذا الحد من السّرف، فقد سقطت كلفة القول معه "[22].

والحقيقة أنّ العلماء ينتصرون للرواية إذا ثبتت عن ثقة، ولا يجوز ردها، ولو ثبتت أن هناك رواية أخرى.

ب- الرواية والمشافهة:

---

18 معاني الفراء 76/2.

19 البحر المحيط 419/5.

20 الكتاب 204/4.

21 الكامل 71/3.

22 المحتسب 50/1، 110

حرص العلماء أشد الحرص على الرحلة إلى بوادي تهامة ونجد و الحجاز لمشافهة الأعراب والتلقي عنهم ما يروون، فكان يونس بن حبيب (182هـ) كثير الاتصال برُؤبه (154هـ)، وكان الفراء(207هـ) يلازم ثلاثة من الفصحاء وهم: أبو ثروان العكلي، وأبو فقعس الأسدي، وأبو الجراح العقلي، وقد أنْفَدَ الكسائي (15) خمس عشرة قنينة حبر لتدوين ما يسمع من الأعراب، وما بلغ الخليل بن أحمد من علم بالرواية إلا بما سمعه من أعراب البادية. وكان قد قال أبو زيد الأنصاري(215هـ) لتلميذه أبي حاتم حين قرأ كتاب" النوادر في اللغة". ما كان فيه من شعر القصيد فهو سماعي من المفضل بن محمد الضبي، وما كان من اللغات، وأبواب الرجز فذاك سماعي من العرب[23] وقال الفارابي: "كان الأفضل أن تؤخذ لغات الأمّة عن سكان البراري منهم "[24].

ج - الرواة والرواية:

صارت الرواية ضربا من المعرفة، فراجت بين الناس، وسَعىَ اللغويون إليها، فكانت حركة علمية عامة في بيئة المجتمع الإسلامي خلال القرون الأولى. وما كان من الأعراب إلا أن أرادوا أن يكون لهم حظ في هذه الحركة، فرحلوا إلى المدن، واستقروا بها، وبضواحيها يحملون بأيديهم ثروتهم اللغوية، ويعرضونها على العلماء على مقربة من موطنهم، فكثر العرض، واشتد التنافس بين الأخذ والرد، وبين التصويب والتخطئة ، حتى أصبحت المدونة اللغوية بضاعة رائجة يبيعها بعض الأعراب، ويشتريها الرواة في مربد البصرة وكناسة الكوفة، وفي غيرهما من الحواضر العربية الإسلامية.

نزل البصرة بعض تميم، ورأسها الأحنف بن قيس، والأزد ورأسها صبرة بن شيمان، ونزل بظاهرها قوم من أعراب قيس بن عيلان، وكان فيهم فصاحة وبيان، فكان بشار يأتيهم وينشدهم أشعاره التي يمدح بها قيسا، فيجلونه لذلك، ويعظمونه[25].

ونزل الكوفة كثير من عرب الجنوب، وبعض عرب الشمال من المضريين منهم البيوتات العربية الأربعة آل زرارة الدارميون، وآل زيد الفزاريون، وآل ذي الجدين الشيبانيون، وآل قيس الزبيديون.

أما بغداد فقد نزل بها أعراب الحُطمة الذين أخذ عنهم الكسائي، وقد قال في شأنها أبو حاتم : " أهل بغداد حشو عسكر الخليفة لم يكن بها من يوثق به في كلام العرب، ولا ممن تُرضى روايته، فإن ادعى أحد منهم شيئا رأيته مخلطا صاحب تطويل و كثرة كلام و مكابرة "[26].

ومن أشهر الرواة أبو عمرو بن العلاء (154 هـ) وخلف الأحمر(180هـ) والنضر بن شميل المازني(203 هـ) وأبو عبيدة معمر بن المثنّى (209 هـ) وأبو زيد الأنصاري (215 ه) والأصمعي (216 ه) وأبو نصر الباهلي(231 ه) وأبو حاتم السجستاني (248هـ) وبكر بن محمد المازني (249 هـ) والزيادي (249هـ)

---

[23] النوادر ، ص1.

[24] كتاب الحروف ، ص 146.

[25] الأصفهاني، الأغاني 51/3.

[26] مراتب النحويين ، ص102.

والرياشي(257هـ) ومن الكوفيين حماد الراوية(155هـ) والمفضل الضبي (167هـ) وأبو عمرو الشيباني(206هـ) وابن الأعرابي(231هـ) وغيرهم.

وتحدث ابن النديم عن الأعراب في الفهرست، وذكر منهم من كان يحترف منهم بيع بضاعته من الكلام، واتخاذها وسيلة للكسب، ومنهم[27]: أبو البيداء الرياحي، وأبو مالك عمرو بن كركرة، وأبو ثروان العكلي وأبو محكم الشيباني، وأبو عرار العجلي، وأبو زياد الكلابي، وأبو سرار الغنوي، وشبيل بن عزرة الضبعي، وأبو سنبل العقيلي، وأبو مسحل وابن ضمضم الكلابي، والبهدلي، وجهم بن خلف المازني.

وهناك بعض الأعراب ممن انقلبوا علماء للرواية، فصاروا ينقلون كلام غيرهم مع أخذ الكلام عنهم، ومنهم[28]: الحرمازي وأبو العميثل والفقعسي وعباد بن كسيب العنبري، وربيعة البصري، وابن صبح المزني، وغيرهم...

إنَّ الأساس في النقل يقتضي الثقة في الرواة ، والمهم أن يكون النص صحيحا لغويا، لا فنياّ، اعتمادا على نسبته العامة إلى العصر الموثق، فاللغوي ينظر إلى شروط الصحة والصياغة والفصاحة. وحظه أحسن من الدارس الأدبي الذي يبحث عن نسبة النص إلى صاحبه.

وإذا كانت البيئة العلمية بهذا الزخم الهائل من التنافس، فإنّها تفتح باب الاضطراب و الزيادة والمبالغة. قال ثعلب: " شاهدت مجلس ابن الأعرابي، وكان يحضره زهاء مائة إنسان، وكان يسأل أو يقرأ عليه، فيجيب من غير كتاب، ولزمته بضع عشر سنة ما رأيت بيده كتابا قط، ولقد أملى على الناس ما يحمل على جِمال "[29]، وقيل إن غلام ثعلب (345 هـ) أملى من حفظه ثلاثين ألف ورقة لغة، وبسبب هذا الإكثار نسب إليه الكذب[30] وكان ثعلب من الحفظ والعلم باللغة والغريب ورواية الشعر ومعرفة النحو على مذهب الكوفيين على ما ليس عليه أحد في عصره[31].

وهذه المبالغة مدعاة إلى الشك والارتياب، وتفتح أمام الدّارس منافذ للظّنون وقد قال محمد بن سلام الجمحي في مقدمة طبقاته: " في الشعر مصنوع مفتعل موضوع كثير لا خير فيه ولا حجة في عربيّته "[32].

طرح علماء العربية شروطا محدّدة لصحّة الرواية (سنذكرها لاحقًا)، فقال ابن فارس: " تؤخذ اللغة سماعا من الرواة الثقات ذوي الصدق والأمانة، ويُتقى المظْنُون"[33] وطرح ابن الأنباري شرط العدالة [34]، وهذا خاص

---

27 الفهرست ، ص240.

28 نفسه ، ص240.

29 وفيات الأعيان 433/2.

30 القفطي إنباه الرواة 674/3.

31 طبقات النحويين واللغويين ، ص141.

32 طبقات فحول الشعراء ، ص5.

33 الصاحبي، ص62.

34 الإغراب في جدل الإعراب ولمع الأدلة ، ص85.

بالراوي للأشعار واللغات، ولا يتعلق بالعربي الذي تنقل عنه اللغة. فإذا كان شأن اللغوي أن ينقل ما نطقت به العرب ولا يتعداه، فإن النحوي شأنه أن يتصرف فيما ينقل إليه ويقيس عليه، ومثالهما المحدث والفقيه.

ولا تعتمد اللغة إلا بخمس شرائط[35]:

1- ثبوت ذلك عن العرب بسند صحيح يوجب العمل .

2- عدالة الناقلين كما تعتبر عدالتهم في الشرعيات.

3- أن يكون النقل عمن قوله حجة في أصل اللغة مثل قحطان وعدنان، فأما إذا نقلوا عمن بعدهم بعد فساد لسانهم واختلاف المولدين عنهم، فلا يعدّ حجّـــة.

4- أن يكون الناقل سمع منهم حِسًّا وأما بغيره فلا.

5- أن يسمع من الناقل حسا.

قال ابن مقبل: "إني لأُرسِلُ البيوت عوجًا، فتأتي الرواة بها قد أقامتها"[36] ونص العلماء على التحري والتثبُّت في قبول الرواية، وفي هذا الشأن يقول ابن فارس: " فليتحرَّ آخذُ اللغة وغيرها من العلوم، أهلَ الأمانة والثقة والصدق والعدالة، فقد بلغنا من أمر بعض مشيخة بغداد ما بلغنا "[37].

وهكذا انفتح باب الشك والارتياب في الرواية، وصار لكل نحوي أسلوبه في القبول والرفض، فقد اتخذ ابن جني موقفا من أعراب زمانه، فيقول: " إنا لا نكاد نرى بدويا فصيحا، وإن نحن آنسنا منه فصاحة في كلامه لم نكد نعدم ما يفسد ذلك، ويقدح فيه، وينال و يغض منه "[38]. قال المفضل: وأنشدني أبو الغول لبعض أهل اليمن :

أَيُّ قَلُوصٍ راكِبٍ تَراهـــــا ❁ طاَروا عليهنَّ فَشُلْ عَلاَها

وَاشدُدْ بِمثْنَي حَقَبٍ حَقْواها ❁ نَاجِيَةً و نَاجِيًا أَباهـــــا

ومما يروى عن لغة بني الحارث وبني كعب قلب الياء الساكنة ألفا إذا انفتح ما قبلها، يقولون: أخذت الدرهمان، والسلام علاكم، فهذه الأبيات على لغتهم. وأما أباها، فجاء به على لغة من قال: هذا أباك في وزن هذا قفاك، وكذا قال أبو حاتم: سألت عن هذه الأبيات أبا عُبيدة، فقال: انقُط عليه. هذا وضعَهُ المُفَضَّل [39].

---

35 المزهر 58/1 /59.

36 مجالس ثعلب 481/2.

37 الصاحبي، ص63.

38 الخصائص 5/2.

39 النوادر ، ص 295 وينظر ابن جني ، الخصائص 14/2 ، 15.

ومهما يكن فلا يستبعد الخطأ في الرواية، وهذا أمر وارد في بعضها. ولكن قد يكون الخطأ في الرواية، ومع ذلك تصلح للاحتجاج بها على قاعدة نحوية، فقد جاء في كتاب سيبويه ما قوله: [40] ومما جاء من الشعر في الإجراء على الموضع قول عقيبة الأسدي، يشكو عمال معاوية وظلمهم (وافر):

مُعاويةُ، إننا بَشرٌ فأسجحْ ❁ فلسنَا بالجبالِ، ولا الحديدَا

وردّ على سيبويه روايته هذه (رواية النصب)؛ لأن رويّ هذه القصيدة مجرور. وقد جاء بعده:

أكلتُم أرضنَا فجردتمُوهـــا ❁ فهلْ من قائمٍ أو من حَصِيدِ

فهبها أمة هلكت ضياعًا ❁ يزيـــــدُ يسومُها و أبو يزيدِ

قال الشنتمري (476): " وسيبويه غير متهم رحمه الله فيما نقله رواية عن العرب. ويجوز أن يكون البيت من قصيدة منصوبة غير هذه المعروفة، أو يكون الذي أنشده رده إلى لغته فقبله منه سيبويه منصوبا، فيكون الاحتجاج بلغة المنشد (الرّاوي) لا بقول الشاعر "[41].

ولتغيير لغة الرواية أسباب كثيرة منها النسيان، وضعف الذاكرة، والخلط بين المتشابهات، كما أن دواعي الشهرة أو الكسب تدفع ببعضهم إلى أن ينتحل أشعارا،وينسبها لغير صاحبها كما فعل حماد الراوية و خلف الأحمر .

وهؤلاء الوضّاعون فسدت مروءاتهم فتزيدوا على الأدب واللّغة لينالوا العطايا والجوائز مثل ما حصل عليه حماد الراوية من جوائز بلال بن أبي بردة[42].

---

40 الكتاب 67/1.

41 الكتاب 67/1 التعليقة رقم 4.

42 الأغاني 4/7.